فوميل لبيب

انتحار الرفض
يفتح طريق السلام !

ضاقت الحلقة حول الرفض الفلسطينى ومن يناصرون الرفض الفلسطينى ويمولونه بالتأييد ويدعمونه بالتخطيط ويشدون ظهره فى المظاهرة والمغامرة والمخاطرة ! فقد تغلب صوت العقل نابعا من ضمير فلسطينى صميم .. على صوت التشنج والمزايدة وإطلاق أوصاف الخيانة والعمالة والتصفوية والاستسلامية على كل من يقبل كلمة السلام ، وعلى كل من بعد العدة لجنيف ، وعلى كل من يقبل شرائح من فلسطين تقام عليها دولة تلم الشمل ، وتكون المنطلق ..

ضاقت الحلقة حول الرفض الفلسطينى بفضل المواقف المعتدلة التى تقفها الآن – ومنذ شهور منظمة التحرير الفلسطينية ، فأنا أرفض كل ما يقال عن أن المنظمة تقف هذه المواقف المعتدلة بعد أن طحنتها الحرب فى لبنان ، أو بعد أن ضيق عليها الخناق لقاء الكبار فى العالم العربى – السادات وخالد والأسد . أن المنظمة بدأت هذه القناعة منذ أحست أن العالم يقف خلفها ، وأنها تحصل على قضية فى الجمعية العامة للأمم المتحدة . وقد حدث هذا بتواتر وانتظام منذ الانتصار فى حرب أكتوبر ، أى منذ أن بدأ العالم يسمع نبض العالم العربى ، ويعرف وجهه النظر الأخرى فى القضية – أى وجهة نظر الفلسطينيين – بعد أن ظل يستمع إلى وجهة نظر إسرائيل وحدها منذ ربع قرن ! من موقف هذا الانتصار ، من موقع الثقة بالنفس بدأت المنظمة تستمع إلى صوت العقل من ضميرها وأعماقها .. وتناقش الحلول المطروحة بسعة صدر، حتى أن فاروق قدومى رئيس الدائرة السياسية للمنظمة الفلسطينية أعلن لوزير خارجية الفاتيكان فى 24 نوفمبر عام 1975 .. فى لقاء رتبه بينهما السفير المصرى شافعى عبد الحميد .. أن المنظمة تقبل إقامة دولة فلسطينية على الضفة الغربية وقطاع غزة !

فليس الذى قاله فاروق قدومى بوضوح فى أفتتاح الدورة 31 للأمم المتحدة حول هذا الموضوع الا ترديدا لما قاله من قبل وليس كل الذى يقال الآن فى هذا الاتجاه إلا اسـتطرادا لاقتناع متفق عليه .

والمنظمة – كما فى قرارات الرباط – هى الممثل الشرعى الوحيد لشعب فلسـطين ، وكل ما يقال مخالفا لما تقوله المنظمة لا وزن له ولا قيمة ، وعمليات إزعاج المنظمـة مـن جانب الرافضين عمليات ليست فى صالح القضية الفلسطينية ، ولان المنظمة كسبت احترامـا حقيقيا عند العالم شرقا وغربا منذ بدأت توحيد كلمتها وجمع صفوفها ، المارفون علـى هـذا الخط يعرقلون القضية ، ويتركون لأسرائيل أن تدعى أن الفلسطينين وهم يتحدثون عن السلام لا يعنونه ، وان منهم بعد من يريدها حربا يلقى فيها إسرائيل فى البحر .. على ما كان يخطب أحمد الشقيرى قديما ، ان عنتريات الشقيرى انتهى زمانها . والباقى الان هوة الحلول العمليـة التى يقبلها العالم ، وهى حلول لا تتعارض البتة مع إدخال أمال أخرى للمستقبل ، كمـا أنهـا حلول لا تمنع الأضرار الباطنى الإصرار حتى النخاع على التحرير الكامل حين تتاح ظروفه.

وأنا اقلب صحفا من هذه الدولة أو تلك .. من دول الرفض فيدركنى الحزن ، لأنهـا تغذى الرفض الفلسطينى بمواقف نارية ، وتتهم كل طريق الى جنيف بانـه طريـق خيانـة ومروق ، وتسمم كل الابار التى تتفجر للشعب الفلسطينى المتعطش الى العودة الى ديـاره .. بل لتكن نصف دياره فى مرحلة .. وأولى بهذه الدول .. وأكثرها وقع ميثاق الرباط الذى كان أهم انجازاته حصر تمثيل الشعب الفلسطينى فى منزمته ان تلتزم عهد الوفاء لما قالتـه ، وأن ترعى الله فى الوطن العربى كله الذى انهكته الحروب .. والـذى يريـد أن يتحـول لترقيـة الانسان .. فى ظل السلام !

والمنظمة تدرك هذه الحقيقة . حقيقة أن الرافضين ومن يحتضنون الرفض يعرقلـون عودة الوطن الفلسطينى . ولهذا تتواتر تصريحاتهم فى اتجاه واحد هو قبول الضفة والقطاع.

ويضيف على ياسين مندوب المنظمة فى الكويت الى هذا قوله : " أننى أطالب بإبطال مفعول جبهة الرفض الفلسطينية لأنها تعترض سبيل التيار الوجدوى الفلسطينى سواء لأسباب ايديولوجية أو نتيجة لتبعيتها لهذا أو ذاك من أنظمة الحكم التى تمولهـا والتـى تعـد هـذه المنظمات صنيعة لها ، أن الوحدة الوطنية الفلسطينية لا تتحقق الا فى اطار حركة مبراة مـن كافة صور التشيع والموالاة . ويتمثل شعارها الأساسى فى التحرير .

ولعل هذا أوضح واشجع التصريحات جميعاً !

وهذا التصريح يعكس رأى مصر الدائم منذ عهد الرئيس جمال عبد الناصر الى عهـد الرئيس أنور السادات . وإذا كان الخلاف جائزا فى الماضى لما كان تحقيق الوطن الفلسطينى حلما من الأحلام ، فان الخلاف الآن جريمة لا تغتفر لان الوطن الفلسطينى فى الأفق بعد أن مهدت له انتصارات الحرب ونجاحات الدبلوماسية المصرية والعربية .

ولو نظرت إلى خريطة العالم لوجدت أنصار الوطن الفلسطينى يكادون يغطون الكرة الأرضية .

فالاتحاد السوفيتى والكتلة الشرقية يقفان موقفا مبدئيا حتى وأن اختلفت وجهات النظـر فى الأيام الأخيرة حول كيفية الذهاب الى جنيف . ترى الدوائر السوفيتية أن المؤتمر يمكن أن ينعقد فى غيبة الفلسطينين فى المرحلة الاولى على أن يدعوا للحضور فى مرحلة تاليـة ، لان قضية مثل تحرير الجولان لا تدخل فى صميم القضية الفلسطينية مثلا .. أو تـرى الـدوائر السوفيتية أن الاعتراف باسرائيل من جانب المنظمة لا يزعزع شيئاً مـن حـق المنظمـة أو مكانتها إذا كان هذا الاعتراف عربونا ضروريا لاعتراف من جانب أمريكا أو جانب اسرائيل . هذه الخلافات فى وجهات النظر ضيقة ومحصورة .. لان الاتحاد السوفيتى والكتلة الشرقية حتما مع القضية الفلسطينية .

كل ما فى الأمر أن المنظمة يمكن أن تتوجه للاتحاد السوفيتى بطلب للضـغط علـى المنظمات المتشبعة لها .. لان هذه المنظمات – وهذا مثار للدهشة – تتطرف فى الرفض 00 بل وتتزعم الرفض . أن التنسيق بين وجهات النزر السوفيتية المناديـة بالملاينـة والتسـاهل ووجهات النظر الرافضة لمن يعتنقون ايديولوجية السوفييت – هذا التنسيق ضرورة حتـى لا يبدو للعرب أن الاتحاد السوفيتى يعطى للقضية بيد ويأخذ منها باليد الأخرى !

ومجموعة عدم الانحياز مع القضية الفلسطينية ، على هذا جرت فى مواقفهـا حتـى أصبحت مناصرة للقضية الفلسطينية تأخذ مكانة العرف الجارى والسارى ، تشذ أحيانا دولة أو أخرى . ولكن السلة فيها بقية الدول .. كلها لفلسطين العائد .

ودول غرب أوروبا استقطبناها بالمصلحة – بتروليا – والدبلوماسية الذكية قدرة على وصف قضية فلسطين ، وإيضاحا لحجم المنافع الاوربية مع العرب تلك التى تزرى بـالحجم الاسرائيلى ، ولعله ليس جديداً أن اقول أنه لاول مرة يحدث انشقاق بين أوروبا وأمريكا منـذ

انتهت الحرب .. بينما تقف إسرائيل فى الأحضان الأمريكية .. وقبل أن يبدأ كسنجر جولاته ويطرح فكرة كان فى غاية الغيظ من موقف أوروبا حتى أنه تورط مرة وعبر حكامها بأنهم يهتزون فوق مقاعدهم ، وقال أن أوروبا أصبحت تفقد الزعامة .. بدليل أنها تخضع لإملاء العرب.

وأمريكا ليست فى خندق العرب ولكنها حتما تريد السلام فى الشرق الأوسط حفاظا على مصالحها فيه . قد أحدثت الدبلوماسية المصرية أكبر تغير فى فكر رجل الشارع الأمريكى الذى كان ينحاز لإسرائيل انحيازا أعمى ، ويقبل – فى وقت من الأوقات – على التبرع لها تحت أغراء إعلان كبير فى صحيفة كبرى يقول له " ادفع دولار تقتل عربيا " .. لان العربى فى الصورة التى رسمتها له الصهيونية وحش متخلف ، وسفاح هتلرى يجب عليه! وفى السياسة الأمريكية تغير مماثل ! ليس فقط لان السياسة الأمريكية تستلهم الشارع الأمريكى ، بل أيضا لأن كل ما كانت تدعيه إسرائيل من أنها الذراع الطويلة لأمريكا ، ومن نظرية الأمن .. ومن حكاية الاسرائيلى السوبرمان .ز قد تحطم على خط بارليف وغرق فى قناة السويس تحت قوارب العبور .

أمريكا تعيد تخطيط سياساتها ، ومهما تغير رجل البيت الأبيض فان الخطوط العريضة تبقى علامات على طريق كارتر .. أو سيروس فانس وزير خارجيته ، وكلاهما قال تصريحات تؤكد ان السلام فى الشرق الأوسط ضرورة ، بلا بدأت تتحدد أسماء العواصم التى يلتقى فيها كارتر بالزعماء العرب ليسمع .. ويعد ملف القضية ليأخذه إلى جنيف .

ماذا بقى ؟ أفريقيا .. فى كتلة عدم الانحياز دعامة . العالم الاسلامى فى مجموعة عدم الانحياز ركيزة .

هذه هى الفرصة المواتية . من قبل لم تكن القضية الفلسطينية تظفر بهذا التأييد . ومن هذا المنطق يرى الرئيس أنور السادات أن تتشكل حكومة فلسطينية .. شرعية ، يتأكد لها كيان قانونى على الفور وتعترف بها مائة دولة على أقل تقدير .

والحكومة الفلسطينية موضوع بحث المنظمة ، وهذه الحكومة يمكن أن تكون مقصلة للرفض والرافضين ، وأنا لا أومن بالتصفية البدنية التى تستعملها بعض المنظمات ضد البعض الآخر ، فكل قطرة من الدم الفلسطينى ينبغى أن تدخر لبنك الدم ، لبنك الغد . لان فلسطين نزفت دما كثيرا فى لبنان .. أنا أؤمن بوسيلة ما لاعادة الرافضين الى الحظيرة ، وإذا

فعلت هذا حكومة .. وإذا أدانت الرفض حكومة لها مقام دولى فـان الحلقـة تضـيق علـى الرافضين .. أنهم ينتحرون !

وفاروق قدومى يعتقد أن الكلام عن الحكومة سابق لأوانه ، لأنه يشترط الأرض قبـل الحكومة ، وينتظر المجلس الوطنى ليحدد برنامجا لها .. ثم يطلب وقتا للتباحث مـع الـدول العربية بشأنها .

وأنا أقول : أن الأرض قائمة .. وهى حقيقة تسد عين الشمس ، فكل الوطن العربـى أمتد ساحة للوجود الفلسطينى ، ومنه انطلقت نشاطات المنظمة فهل يضيق العالم العربى ذرعا بالحكومة ؟

وأنا أقول " أن المجلس الوطنى سوف ينعقد فى أسابيع قليلة قادمة .. والبرنامج لـيس معضلة ، أن البرنامج قائم فى ضمير كل فلسطينى .. من تلميذ المدرسة الـذى يغنـى نشـيد العودة ، وترنيمة الحياة ، الى الزعيم .. بل حتى روح الشهيد .

وأنا أقول : أن التباحث مع الدول العربية شرط شكلى ، فاليقين كله أن هـذه الـدول مجتمعة تبارك الحكومة خطوة إلى فلسطين .. أو اطارا تنظيميا للمفاوضة والعودة ، وشـكلا ضروريا للضبط والربط (وسكنا للمناضلين الواقعيين يعز على الرافضين المارقين .. هـذه الدول العربية تبارك الحكومة .

ومن عجب أن يقول فاروق هذا .. يقول أن الأمر يتطلب تباحثا مع الدول العربية مع أنه الصلب القوى الذى يردد أن القضية الفلسطينية لا تحتاج إلى وصاية أو إلى ولاية !

ماذا بقى ؟

بقى أسلوب التلاحم بين سكان الضفة وقيادات المنظمة . فان إسرائيل تتاجر أحيانا بأن سكان الضفة يرفضون قيادات المنظمة ، وهى تجارة مكشوفة لان سكان الضفة الذين يقـول عنهم اسرائيل عملاء لا تخلو منهم دولة .. وطموحون متطلعون الى الحكم مع أنهم لم يبـذلوا للجهاد ولو بعض دنانير ! أن التلاحم بين سكان الضفة وقيادات المنظمة تجلـى كـاروع مـا يمكن أن يتجلى – فى انتخابات البلديات ، فقد نجح كل الرجال المؤيدين للمنظمة تحكم الضفة الغربية وغزة حتى قبل أن تدخلهما على مركبات العودة .. والتحرير ..

واعتقد أن وصول أعضاء المجلس الوطنى الذين يقيمون فى الضفة الغربية للاجتماع بزملائهم المبعثرين فى الوطن العربى خير دليل على هذا .

المهم الآن هو سد الثغرة .. ثغرة من يدسون للمنظمة ، وتستخدمهم إسرائيل للتـدليل على أن المنظمة ليست الممثل الشرعى الوحيد للشعب الفلسطينى – أو ليست اليد التى توكل اليها أمور الشفة الغربية وقطاع غزة فى الغد القريب . أو حتى الغد البعيد .

وعلى الحكومات العربية واجب آخر .

أن تصدر قرارا بتجريم الرفض وأدائه الرفض .. ليس فقط لأنـه يعرقـل القضـية الفلسطينية بل لأنه يعرقل مسيرة الوطن العربى كله الى التنمية والرخـاء . بعـد أن العـالم الحضارى بعشرات السنين .

أن القمة العربية سوف تنعقد فى القاهرة فى مارس القادم .. لتلتقى بالقمة الأفريقية فى اطار التعاون بين العرب وأفريقيا ، لماذا لا تغتنم هذه القمة فرصة التلاقى لتصدر قرارا يدين الرفض .. ويجرم الرافضين ؟

أن هذا يعين المنظمة أو الحكومة الفلسطينية القادمة على أن تتفرغ للتحرير وحـده .. وهو يضم للمنظمة صفوفا من أبناء فلسطين يمكن أن يكونوا ذخيرة ورصاصة فـى ميـدان الحرب أو غصن زيتون فى ساحة السلام .

www.anwarsadat.org

www.anwarsadat.org